جرح بلادي

صار المقعد جزءا مني ،
والغرفة تسبح في الظلمة ،
تتأرجح في صحراء العتمة ...
انظر حولي : لا نجمه ،
لا ضوء ... ماذا ؟ أين أنا ؟
أسمع أنات الاشجار ،
لا أفهمها ، فالاشجار
ليست أشجار بلادي ،
ليس لها أسم في لغتي .
أذكر : قالوا لي : تفاح .
هذي واحدة ، كلها ...
طعم التفاح غريب في الغربة ،
أوراق الاشجار ، حفيف الاشجار ،
زقزقة العصفور ، خرير الانهار .
أسمعها ، أسمع صوت الغربة ...

صوت الغربة في أذني
وطعم الغربة تحت لساني :
مر هذا الشكر . ليل
شمس الغربة في أجفاني ...
صار المقعد جزءا مني ،
والغرفة تسبح في الظلمه ،
والاشجار تئن مع الريح ، ولكن
حتى الأنّة في الغربة أنّة غربه ...
عطشان ، وماء الغربة لا يرويني ،
أنقى من ماء بلادي ــ قالوا ــ
لكن لا يرويني ...
أسماء أحبائي ناقوس
يقرع في رأسي ، يوقظني ،
يحملني نحو بلادي ، يزرعني
في أرضي ،
يترك بعضي يبحث عن بعضي ...
جرح بلادي نار تصعد في احشائي ،
أصرخ : آه ،
اقبلني في ملكوتك يا الله .

كانتربري

اديب صعب

ــ بلدنا اصيلة واهلها طياب لا يضمرون الشر لاحد ، علاقتنا مع بلاد الجيرة مالوفة ، نعيش على كد ايدينا ، ارضنا بسهلها وجبلها غالية علينا ، جدعان قتل والقاتل مجهول وسرق الجمل والطحنة ، المطحنة بعيدة ، يمكن قطاع الطرق يعيدوها ، الحرب تركت الناس بلا اكل ، والجوع كافر ، ثار جدعان امانة في رقابنا ،لكن المشكلة تبقى ، تعالوا نبني مطحنة في البلد على اسم جدعان ، ارضنا غليلة ونقطع طريق الشر على من يضمره .

كان الناس ينصتون بشدة الى هذه الكلمات ، وهتفوا مؤيدين الراي الصواب .

ــ ابني نقوط اسامح في دمه لراي فضول والحاضرين . قال ابي وقد غص بالبكاء ، وظلت امي طريحة الفراش تهذي من الاسى .

كاد الحديث عن اخي جدعان يغيب عن السنة الناس ، لان الجميع بما فيهم والدي انهمكوا في العمل .. الحجارون يقطعون الحجارة والجمال تنقلها الى حيث يبنون الاسس والقناطر والجدران ، والنساء ينقلن المياه للعمال في الوعر ويقدن الجمال ويحضرن الرمل من الاودية والسيول ، ولان العمل يقابله ثواب ، عمل أهل القرية يوما كاملا لحساب العجزة والقصر امثالي حتى نكون قد شاركنا ، اما عم « نعومة » فقد صنع عجلات للآلات الضخمة في البلدة الكبيرة حيث شوارع الاسفلت ، وهب الجميع لاحضار المطحنة ، الرجال والدواب .

في ذلك اليوم بالضبط وعندما سمعت القرية اصوات الحداء والاهازيج واجراس الجمال وصوت الناي والارغول كلها ترافق آلات المطحنة ، كانت خالتي قد وضعتني في قفة من القش وحملتني على راسها ودارت على البيوت :

ــ اعطونا للمغلوب شي حتى يقوم يمشي !! فينهال الزبيب والتين المجفف علي ، ووصل الجمع ، وحدا الشباب فوق راسي ومدوا لي ايديهم ، وشعرت بدم حار يجري في عروقي ، وبعصبية ونخوة في راسي ارتجفت بشدة وصرخت من قحف راسي وانا اقف لاول مرة في حياتي ، وعمرت حلقة الدبكة واطلقت الزغاريد وركض الاولاد الى امي التي جاءت شاحبة تلهث تقبلني ودموع الفرح تسيل على وجهها ، وانا الى اليوم اشعر بنفسي مدينا لمطحنة أخي جدعان واتردد عليها .

حيفا (فلسطين)

محمد نفاع

« جريدة « الاتحاد »